

## بين فتاتين

فصل من رواية لم تنشر

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

أناقت « خيرية » - في غرقها - على صدر « سارة » ،  
أو لعل الأصح والأقرب إلى الصواب أن نقول إنها استمادت  
سكينة نفسها فيما ترى العين ، بعد أن أسبلت ملء حفتة من  
الدموع روت بها زهور خديها النصيرين ، وأصارت أرنبه أنفها  
كالجزرة . وفي قليل من البكاء شفاء للصدر وجلاء للبصر ، وغنى  
عن الساحيق !

وأحست « سارة » بانتظام أنفاسها فضمها إليها في رفق  
وجنان ، فجوابتها « خيرية » بضغطة خفيفة . وطاق برأسها  
وهي تفعل ذلك أن لو كان هذا صدر شاكر ! ! ! ونهدت  
كالتحصرة ، وذهبت تصور ساعديه القويين على خصرها  
يهصرانه ، وثديها يُمصران على ثندوتيهما <sup>(١)</sup> ، وأنفاسه على  
(١) التندوة مفرز الثدي وما حوله من لحم الصدر .

شعرها ، وكلامه العذب في أذنها . فأخذها من هذا الخاطر مثل  
الدوران في رأسها ، وأثلثت عينها ، وشمرت بمثل النار تندلع  
في أحشائها وترقى إلى صدرها ونحرها وتأخذ بكظمها ، على حين  
كانت تمحس بالبرد في قدميها .

وشدت « سارة » على خصرها في هذه اللحظة الحافلة  
بالاحتمالات ، فرفمت « خيرية » وجهها المضطرب ونظرت إلى  
صاحبها بعين نابتة الحلاق إلا أن عليها كالضباب فهي لا تبصر ،  
وأقبلت على فمها تقبله - قبله حارة طويلة عصرت فيها روحها  
ونسيت نفسها ، وإذا « بسارة » تهتز وتتنفض وترسل راحتها  
تتحسس علواً وسفلاً ، و « خيرية » كالسكري : تضم ، وتئن ،  
وتبوس ، وتمسح الخد بالخد ، وعينها مغمضة ، وأصابع يدها  
تقبض على لحم « سارة » والأخرى تمسح بشعرها وتتخلله  
وتشده ، وهما في عناقهما تميلان يمنة ويسرة ، وتقبلان إلى الأمام  
نارة ، وتثنيان إلى الخلف طوراً ، وترحف كل منهما إلى صاحبها  
كأن بينهما متمماً فتترحزان على الطارقة <sup>(١)</sup> حتى تهافتا  
فتحاجزتا ، وصار صدرهما كالخضم المضطرب .  
وقالت « سارة » بصوت يذوب من الرقة :  
« أحسن ؟ »

فدانت « خيرية » بين جفونها وألقت إلى صاحبها - بمؤخر  
عينها - نظرة فيها من الرضى والشكر والرجاء معانٍ ، وكانت  
كلماتها مضطجعة ، فمدت « سارة » يدها وتناولت راحة « خيرية »  
وأطبقت عليها أصابعها - في صمت - وظللتا هكذا برهة ، ثم  
شخصت « سارة » إلى السقف وقالت كأنما ترى من مخاطبه فيه  
« ليتك كنت أخاك ! »

ثم نثت إلى « خيرية » وجهاً يفضح بالبشر ويفرى بالبعث  
والصراحة ، فرفمت « خيرية » حاجبها وأمالت رأسها على الوسادة  
ثم ردت وجهها إلى سارة وقالت :  
إنك سعيدة ياسارة . . .  
فسألها « سارة » :  
« وأنت ؟ . . »  
قالت خيرية « موزعة . . »

(١) الطارقة السرير العنيق وقد اخترتها للكناية .

ما زا يجب في عمل المهارة : إن الغرض الذي يتوخاه واضعو القواعد  
للمعمل الروائي هو التقريب بين الافتراض والحقيقة . وأقوى  
الوسائل إلى هذا التقريب هي قاعدة الامكانية . ولما كان عمل  
المهارة منزعاً من العادات المألوفة ، والأخلاق المعروفة ،  
والنكتة الحاضرة ، كان بعده عن الحقيقة ، ومخالفته للواقع أمراً  
سهل الملاحظة صعب الاحتمال . لذلك وجب أن تراعى القواعد  
في المهارة مراعاة شديدة ، وعلى الأخص وحدة العمل ، واستمرار  
الخلق ، وسهولة الأسلوب ، وبساطة التعقيد ، وطبيعة الحوار ،  
وصدق الماطفة . وقوة الفن في إخفاء الفن ، بحيث يكون كل  
ما يحدث ويقال على المسرح صورة ساذجة للمجتمع حتى ينسى  
المشاهد أنه في مشهد من مشاهد التمثيل ، لأن الصورة إذا رسمتها  
يد عاجزة أتجه فسكرك فيها بعد النظرة الأولى إلى الرقعة والألوان  
والأطوار . قبل أن يتجه إلى التدوير والتتواء والبعث .

(الزبات)

ينبع

— موزعة ؟

ولم يشعرا أن الصمت طال بينهما أو أن الحديث انقطع

لما قالت « سارة » بعد ذلك :

« ولكنك تحببته . . . لا شك في ذلك » .

فقالت « خيرية » بلهجة المفكر لا المتفكر .

« هذا ظنك ؟ »

قالت « سارة » :

« لقد كنت تفكرين فيه ونحن متعاقبان »

فاعتدلت « خيرية » في جلستها ، وواجهت « سارة » وقالت

بلهجة حازمة :

« كلا . . . أبدأ »

فوضعت سارة يدها على كتف صاحبها وقالت :

« تعالى . . . تعالى . . . اطرحنى عن صدرك هذا العيب . . . »

لماذا لا تبادلينى حبي ؟

فألها خيرية وهي تضحك :

« آجبيننى ؟ »

« أتألين ؟ »

« أعنى كحمادة ؟ »

« لا أزعم ذلك ولكنى أحببتك »

« من أجله ؟ لأنى أخته ؟ »

« لذاتك »

« صحيح ؟ »

« أتشكين ؟ »

« لا أشك . . . ولكنى غيره . . . أعنى أنى فتاة مثلك »

« وما دخل هذا ؟ ما قيمته ؟ ألم تكن تتعاقب على حب قبل

دقائق ؟ قد يختلف الفرض من الحب أو نوع الاحساس به

ولكنه يظل حباً »

« سارة ! »

« نعم »

« لا أدرى كيف أقول . . . لى لم أعرف من هو إلا الليلة »

ودفنت وجهها في راحتها فصاحت بها « سارة »

« أهو ذاك ؟ »

فرفعت « خيرية » رأسها كأنما تتحدى الدنيا والناس وقالت

— نعم ! . . . وعسى أن أكون واهمة . . . ولكنه يخيل إلى

أحياناً أنى أحب « عبده » وهو لا شك يحبنى . . . على طريقته . . .

حباً صامتاً . . . أخرس . . . يحيرنى . . . أعنى بإسارة أنه يحرك نفسى

لحظة ثم يدعها فارغة لا أثر فيها له . . . ليس عنده كلام يقوله . . .

ينظر إلى كأنه يشتهى أن يأكلنى بعظاى . . . فهو يخيفنى ويفزعنى ،

ويسحرنى أيضاً ويحدينى حين يفتح على عينه بهذه النظرة المهومة ،

ولكنه يخيفنى أكثر مما يسحرنى . . . آه لو كان ينطق . . . :

ولكنه لا يعرف الكلام . . . ولا المغازلة .

. . . جسمه ضخم ولسانه أبكم . . . فهو قوة مرعبة . . . لو كان

يرق فينقى الخوف !

. . . لو كان يشمرنى أن الحب يلينه أو يذيه قليلاً ؟ . . .

ولكنه ليس مثل . . . »

وأمسكت ، وزعت يدها من يد سارة ، وظلنا مقترقتين

برهة وهما تفكران في النزول « خيرية » في بكم عبده وفي خلو

جبه من هذا المنصر الذى يلفظ الوعدة ، ويخفف الحدة ، ويسلب

العاطفة المشبوبة لذعها وكبها ، ويجعل الحديث أحلى من التقييل

والعناق . أما « سارة » فقد فتح لها كلام « خيرية » باباً جديداً

من التفكير أعانها دراستها العملية على ولوجه ، فراحت

تقول لنفسها إن النزول ليس عبثاً ولا تكلفاً ، وإن الرقة فيه واجبة

وليست ضعفاً ، وإن الطيبة لا تزال تطلب التوازن وتسمى له

وتجده ، فلولا رقة الرجل القوي ، في غزله ، لأرعب المرأة حبه

ولما احتملته ، وهو حين يجثو أمامها ويربح خده على ساقها ، أو

يتاجها بهواه ويشكو إليها ضعفه عن احتمالها ، ويصف لها ضيق

صدره بما يجن ، وقلبه بما يجد ، ويتدل لها وتوسل إليها ، إنما يفعل

ذلك بغيرته ليعتدل لليزان ، فيذهب عن المرأة الخوف من قوته ،

وتشعر أن فيه موضع ضعف تستطيع أن تستغله وتقاوم به طغيان

القوة ، وعلى قدر ما يبدى الرجل من الرقة في موقف النزول والمناجاة

تحس المرأة أنها قوية وأنها كفء له ، فتطمئن وتعتقد أنها نده ،

وإن كان في ظاهره أقوى ، وتبادلها حباً بحب غير مكرهه ولا محمولة

على ذلك ، ولا شاعرة بتفريط في كرامتها أو تضييع لشخصيتها

أو محو لآرادتها . . .

من الأديب الانترلسي :

## ٢- التوابع والزوابع

بقلم محمد فهمي عبد اللطيف

دخل ابن شهيد وادي الجن، ورغب في البديع ببقاء الشعراء على ما بيئنا في المقال السابق، وقد حدثنا الرجل أنه طلب من صاحبة زهير بن نمير أن تقدمه أول ما يقدمه إلى تابع امرئ القيس، وإنما حق له هذا، أولاً: لأن امرئ القيس سابق في عمر الزمن، وحساب الأيام؛ وثانياً: لأن النقاد جميعاً على أنه أمير الشعراء في العصر القديم، وشيخهم الذي أوضح لهم الطريق، فهو مقدم بالطبع والوضع كما يقول المناطقة، ولم يرد ابن شهيد أن يخرج على ما قضت به الأيام، وما تواضع عليه النقاد، فأنزله الرجل منزله المقررة، ووضع في مكانه المعلومة، ولذا قدمه على نفسه في الأناشيد، ووصفه بتطامح الطرف، واهتزاز العطف، علامة الفرور والثقة، وأخذته الهيبة منه، فعم بالحليصة والهرب من أجازته، لولا أن شد في قوى نفسه، وأنشده ما أنشد.

وعلى هذا النهج راح ابن شهيد يتحدث عن توابع الشعراء واحداً بعد واحد، ويقرر ما وقع له منهم، وما جرى بينه وبينهم من الأناشيد والمساجلة، وهو في أثناء ذلك يعرض بالتصوير لأحوال الشعراء، ويهتم بوصف نفسياتهم وميولهم ويشير إلى ما اشتهر عنهم في أخلاقهم وسلوكهم وآرائهم، تارة بالتلميح، وطوراً بالتصريح، ومن حين لآخر يمجده بجمل كلامه بالنادرة المستلحة، فيجعل القارئ يقبل عليه في سرور واثتناس، استمع إليه وهو يحكي ما وقع له مع «بغلة» من التوابع أقبلت تحمكه في شعرين لبغل وحمار اختلف فيهما الفريقان، فقال لها حتى أسمع، فقالت الشعر الأول لبغل من بغلنا وهو:

على كل صب من هواه دليل

سقام على جسد الهوى ونحوه

وما زال هذا الحب داء مبرحا

إذا ما اعترى بئلاً فليس يزول

وهي تسوى شعرها وترد عن جبينها خصله

«نعم . وقد عرفت الآن»

فقالت «سارة» باخلاص:

«يا حبيبتى هذا أسعد يوم في حياتي . أنا لأخيك . وأنت

لأخي»

فقالت «خيرية» وهي تكاد تبكي:

«كيف يمكن؟ كيف يمكن؟ إنه لم يرفى قبل اليوم إلا مرة

واحدة!»

فسألها «سارة» وهي تنظر إليها نظرة من يحيى ذكرى

تمن في الفمض:

«قبل اليوم؟ أتعتين...؟»

قالت «نعم كنت خارجة من سمان ففترت...»

فصاحت بها سارة وقد صحت ظنها:

«هو أنت؟»

«أهو أنا؟ ماذا تعنين؟»

أعنى أنك فتاته التي يحبها ويبحث عنها... يا لمعادني»

فتعلقت بها خيرية وأمطرتها وابلاً من الأسئلة، وسارة

تضحك ولا تعرف كيف تجيب، وإذا بمحادثة ينقر ويسأل قبل

أن يسمع الأذن بالدخول

«سارة! ما هذا الذي يقوله عبده؟»

فوثبت الثقاتان ووقفتا مبهورتين من المفاجأة، واحتاج حمادة

أن يعيد سؤاله

«أهو صحيح؟»

فقالت «سارة» وهي تبسم له وترف: «ماذا يا روهي؟»

فأذابت ابتسامتها وراح يتلثم

أ... أ... أ...

فقالت سارة «تعالي يا حبيبي... أم نخرج؟؟ أظنه أن لي

أن أخرج . بكرهى يا روهي... فتعال احملني الى سيارتك...»

وفيها... الى بيتي»

فنسى حمادة ما أفضى به إليه عبده...

إبراهيم عبد القادر المازني